سلسلة أحبّ كتابي

6

الطِّفْلُ وَالشِّتَاءُ

دار اليمامة

سلسلة أحبّ كتابي

اَلطِّفلُ وَاَلشِّتَاءُ

النّصّ : عبد الجبّار الشّريف

الرّسوم : عواطف مصباح

دار اليمامة
لنشر الكتاب

قَالَ ٱلطِّفلُ لِلشِّتَاءِ يَومًا :

– لَقَد طَالَت إِقَامَتُكَ فِي قَريَتِنَا ، وَأَنَا لاَ أُحِبُّكَ كَمَا أُحِبُّ بَقِيَّةَ ٱلْفُصُولِ، فَمَتَى تَحمِلُ مَتَاعَكَ وَتَرحَلُ عَنَّا ؟

حَزِنَ ٱلشِّتَاءُ عِندَمَا سَمِعَ كَلاَمَ ٱلطِّفلِ، وَسَالَت دُمُوعُهُ عَلَى لِحيَتِهِ ٱلْبَيضَاءِ وَقَالَ لَهُ :

– وَلَكِنَّ ٱلْجَمِيعَ يُحِبُّونَنِي، فَلِمَاذَا تَكرَهُنِي أَنتَ ؟ هَل أَسَأتُ إِلَيكَ يَومًا ؟

رَدَّ عَلَيهِ ٱلطِّفلُ بِغَضَبٍ :

– وَكَيفَ تُرِيدُنِي أَن أُحِبَّكَ ؟
بِٱلْأَمسِ مَاتَ عُصفُورِيَ ٱلصَّغِيرُ
بِسَبَبِكَ، وَٱلْيَومَ زَلَّت قَدَمِي وَأَنَا عَائِدٌ
مِنَ ٱلْمَدرَسَةِ فَسَقَطتُ عَلَى ٱلْأَرضِ
وَتَلَطَّخَت ثِيَابِي بِٱلْوَحلِ. كَمَا أَنَّنِي لَم
أَعُد أَلعَبُ مَعَ رِفَاقِي فِي ٱلْحَيِّ، إِنَّنَا
نَهرُبُ مِنكَ وَنَجلِسُ فِي ٱلْغُرفِ ٱلْمُقفَلَةِ
إِلَى جَانِبِ ٱلْمَدَافِئِ.

ازدَادَ حُزنُ ٱلشِّتَاءِ عِندَمَا سَمِعَ
كَلَامَ ٱلطِّفلِ، فَقَامَ إِلَى حَوَائِجِهِ

يَجمَعُهَا، وَمَا أَنِ اَنتَصَفَ اَللَّيلُ، حَتَّى تَسَلَّلَ اَلشِّتَاءُ مِنَ اَلْقَريَةِ وَاَختَفَى عَنِ اَلْأَنظَارِ..

وَفِي اَلْيَومِ اَلثَّانِي أَفَاقَ اَلطِّفلُ مِن نَومِهِ، وَكَم كَانَت دَهشَتُهُ كَبِيرَةً عِندَمَا شَاهَدَ اَلشَّمسَ تَلمَعُ فِي اَلسَّمَاءِ وَتُذِيبُ اَلثَّلجَ اَلَّذِي تَرَاكَمَ عَلَى حَافَةِ اَلنَّافِذَةِ وَفِي اَلْحُقُولِ. وَلَم تَمضِ سَاعَاتٌ حَتَّى كَانَ كُلُّ أَثَرٍ لِلشِّتَاءِ قَد اَختَفَى.

فَرِحَ اَلطِّفلُ بِرَحِيلِ اَلشِّتَاءِ، فَأَسرَعَ

إِلَى أَصدِقَاءِهِ يَدعُوهُم لِلَّعِبِ مَعَهُ، وَظَلُّوا يُغَنُّونَ وَيَرقُصُونَ حَتَّى أَقبَلَ اَللَّيلُ.

وَلَكِنَّ سُكَّانَ اَلْقَرِيَةِ لَم يَفرَحُوا بِرَحِيلِ اَلشِّتَاءِ. ظَلُّوا يَخرُجُونَ كُلَّ يَومٍ إِلَى اَلْحُقُولِ يَتَفَقَّدُونَ اَلْبُذُورَ اَلَّتِي زَرَعُوهَا، وَيَنظُرُونَ إِلَى اَلسَّمَاءِ مُتَسَائِلِينَ :

– أَينَ اَلْغُيُومُ اَلدَّاكِنَةُ اَلَّتِي تَحمِلُ إِلَينَا اَلْمَطَرَ ؟

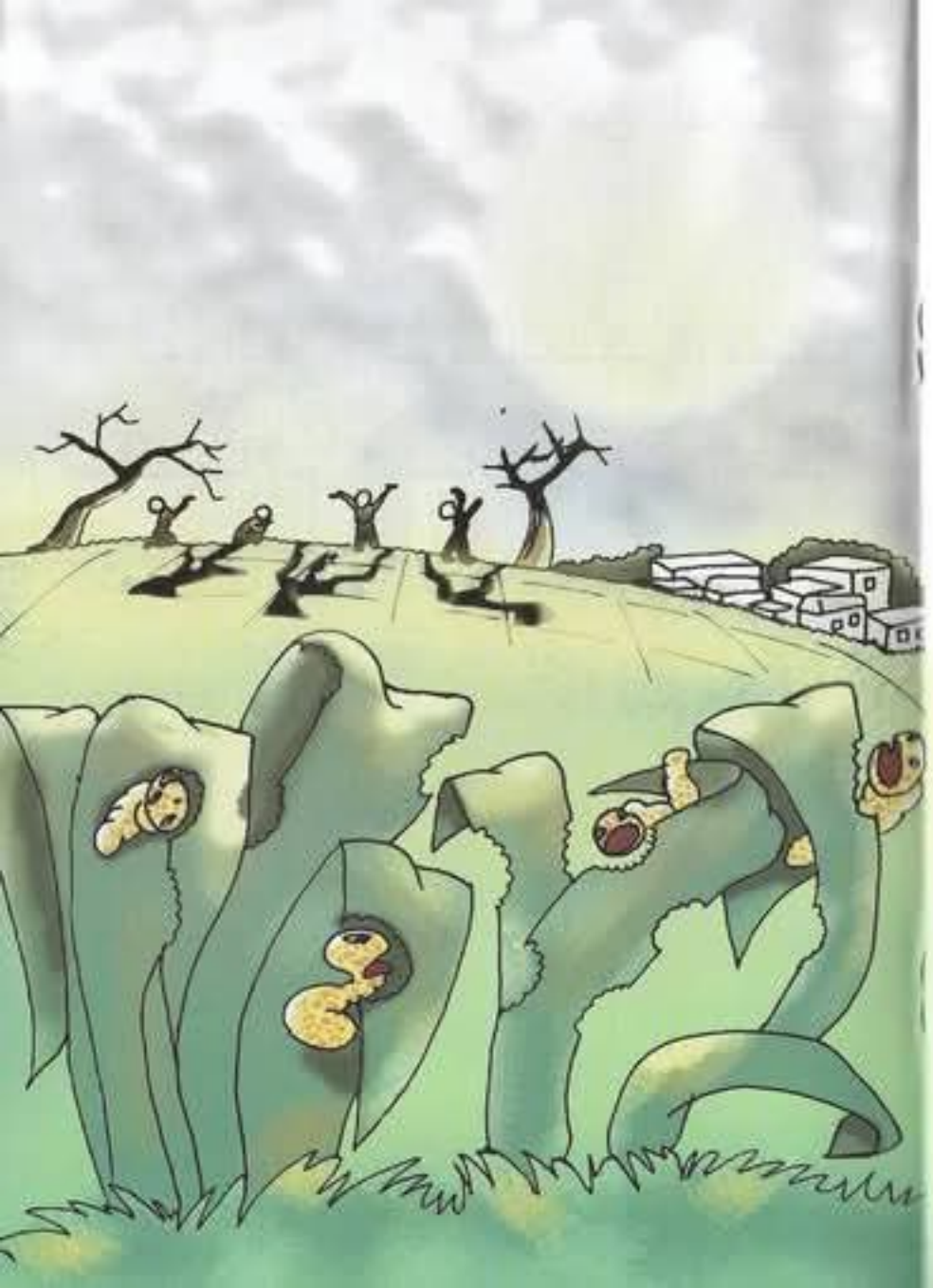

– أَينَ ٱلْبَردُ ٱلَّذِي يَقتُلُ ٱلدِّيدَانَ وَٱلْحَشَرَاتِ ؟ لِمَاذَا رَحَلَ ٱلشِّتَاءُ مُبَكِّرًا هَذَا ٱلْعَام ؟

وَلَكِنَّ تَسَاؤُلَاتِهِم ظَلَّت كُلُّهَا بِلاَ أَجوِبَةٍ.

وَمَضَتِ ٱلْأَيَّامُ وَٱلْأَسَابِيعُ، وَجَفَّت تُربَةُ ٱلْحُقُولِ وَتَشَقَّقَت.

أَمَّا ٱلْبُذُورُ ٱلَّتِي زُرِعَت فَنَشَأَت هَزِيلَةً سَقِيمَةً وَمَا لَبِثَت أَن لَوَت أَعنَاقَهَا وَمَاتَت دُونَ أَن تُعطِي حَبَّةَ قَمحٍ وَاحِدَةٍ

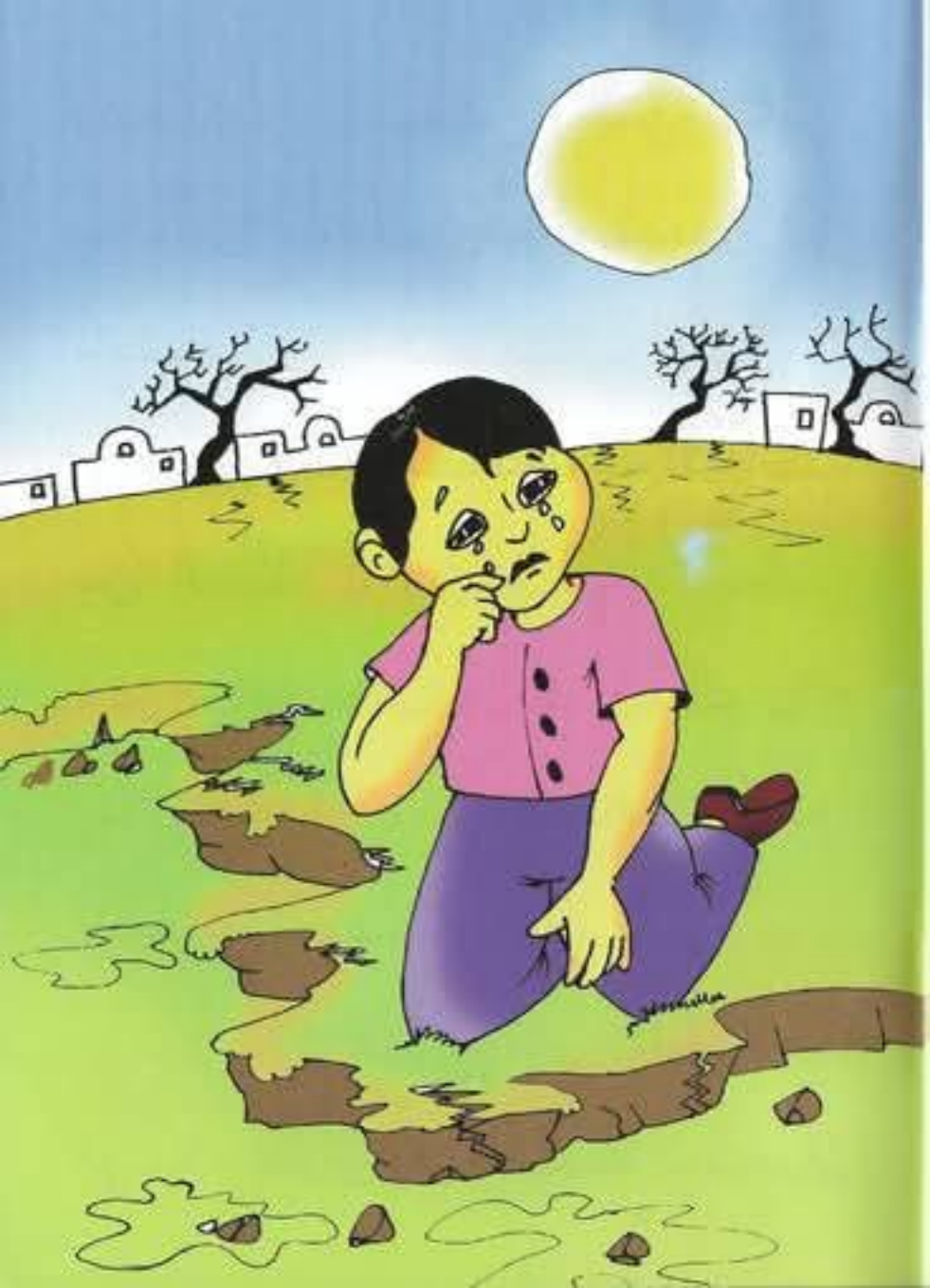

وَدُونَ أَن يَستَطِيعَ أَحَدٌ مِنَ ٱلْفَلاَّحِينَ إِنْقَاذَهَا.

عَمَّ ٱلْحُزنُ ٱلْقَريَةَ ٱلصَّغِيرَةَ، فَخَلَت سَاحَاتُهَا مِنَ ٱلشَّبَابِ وَتَرَاكَمَ ٱلصَّدَأُ عَلَى ٱلْمَنَاجِلِ، وَبَكَى ٱلْأَطفَالُ عِندَمَا لَم يَستَطِعْ آبَاؤُهُم أَن يَشتَرُوا لَهُم مَلاَبِسَ جَدِيدَةً كَمَا كَانُوا يَفعَلُونَ كُلَّ عَامٍ بَعدَ ٱلْحَصَادِ وَبَيعِ ٱلْمَحَاصِيلِ ...

حَتَّى ٱلْبِركَةُ ٱلصَّغِيرَةُ ٱلَّتِي كَانَ ٱلصِّغَارُ يَسبَحُونَ فِيهَا جَفَّ مَاؤُهَا

وَهَجَرَتهَا ٱلضَّفَادِعُ ٱلَّتِي كَانُوا يَجلِسُونَ سَاعَاتٍ وَهُم يَستَمِعُونَ إِلَى نَقِيقِهَا.

شَعَرَ ٱلطِّفلُ بِخَطَئِهِ، وَنَدِمَ لِأَنَّهُ طَلَبَ مِنَ ٱلشِّتَاءِ أَن يَرحَلَ بَعِيدًا عَنهُم، فَخَرَجَ إِلَى حَقلِ وَالِدِهِ، وَهُنَاكَ رَاحَ يَبكِي بِحُرقَةٍ وَهُوَ يُشَاهِدُ ٱلْأَرضَ ٱلْعَطشَى ٱلْمُتَشَقِّقَةَ.

وَفِي تِلكَ ٱلْأَثنَاءِ كَانَ ٱلشِّتَاءُ يُقِيمُ فِي بِلَادٍ أُخرَى بَعِيدَةٍ فَسَمِعَ بِمَا جَرَى

فِي ٱلْقَرِيَةِ بَعدَ أَن هَجَرَهَا، وَحَمَلَت إِلَيهِ ٱلرِّيحُ صَوتَ بُكَاءِ وَتَوَسُّلَاتِ ٱلطِّفلِ.

أَطرَقَ بِرَأسِهِ مُفَكِّرًا : مَاذَا يَفعَلُ لِإِنقَاذِ ٱلْقَرِيَةِ ٱلْبَائِسَةِ ؟ إِنَّ ٱلْقَرِيَةَ ٱلَّتِي يُقِيمُ بِهَا ٱلْآنَ مَا تَزَالُ فِي حَاجَةٍ إِلَيهِ، وَلَكِن عَلَيهِ أَن يَفعَلَ شَيئًا.

كَانَت هُنَاكَ بِضعُ سَحَابَاتٍ دَكنَاءَ تَتَجَوَّلُ مُتَفَرِّقَةً فِي ٱلسَّمَاءِ فَجَمَعَهَا بِشَبَكَتِهِ ٱلسِّحرِيَّةِ وَحَاكَ مِنهَا غَيمَةً وَاحِدَةً كَبِيرَةً وَأَرسَلَهَا إِلَى ٱلْقَرِيَةِ

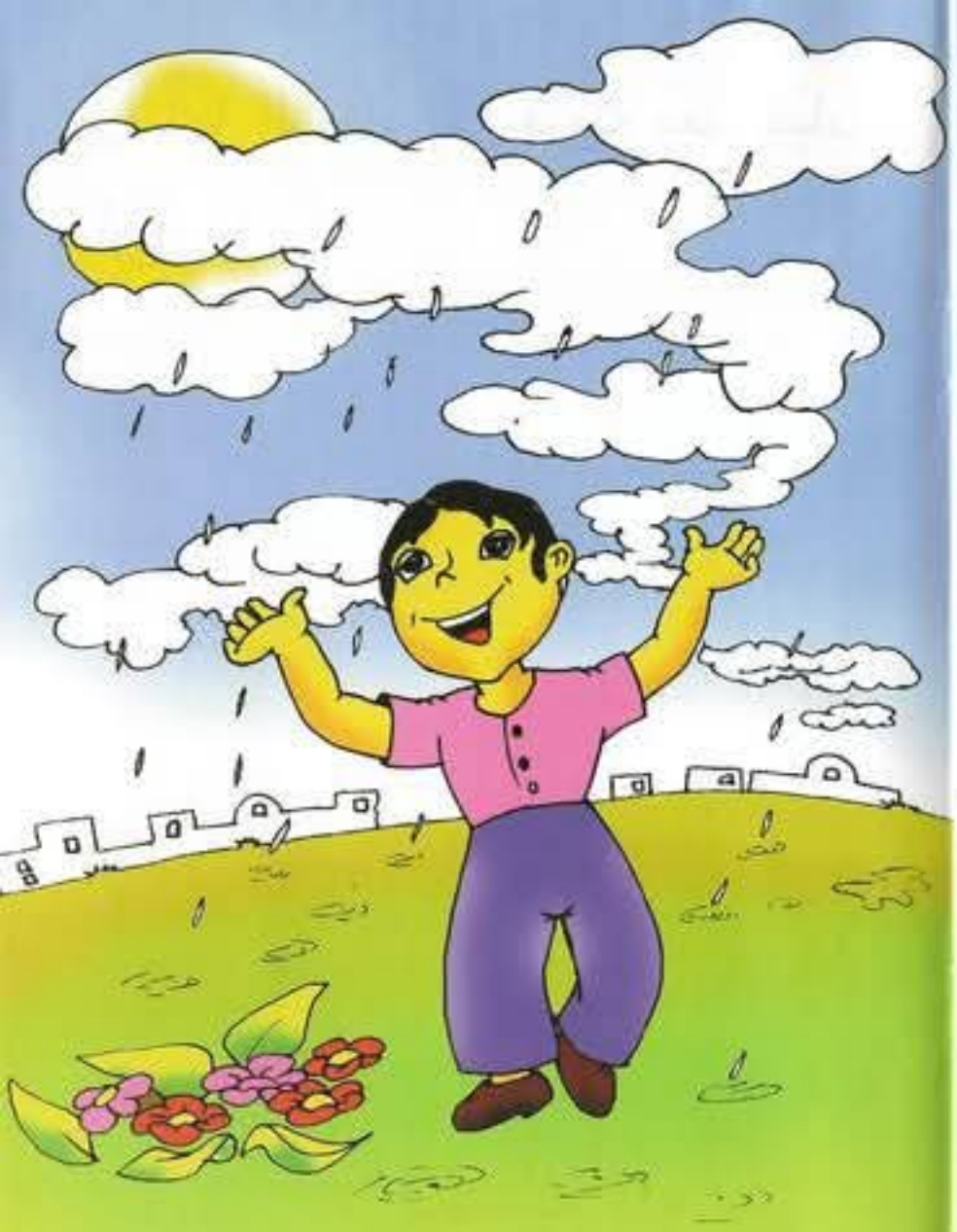

اَلْعَطشَى لِتَقُولَ لَهُم إِنَّ مَوعِدَ عَودَتِهِ قَرِيبٌ. بَعدَ سَاعَاتٍ، وَكَانَ اَلطِّفلُ مَا يَزَالُ يَبكِي فِي اَلْحَقلِ وَصلَتِ اَلْغَيمَةُ، فَأَضَاءَت نُورًا قَوِيًا كَاَلْفِضَّةِ، ثُمَّ زَمجَرَت بِعُنفٍ وَلَم تَلبَثْ أَن هَطَلَت مَطَرًا غَزِيرًا.

رَفَعَ اَلطِّفلُ رَأسَهُ إِلَى أَعلَى، وَهَبَّت نِسمَةٌ بَارِدَةٌ فَاَقشَعَرَّ جَسَدُهُ وَلَكِنَّهُ لَم يَغضَبْ هَذِهِ اَلْمَرَّةِ، بَل قَفَزَ مَسْرُورًا وَفَتَحَ كَفَّيهِ اَلصَّغِيرَتَينِ لِيَتَلَقَّى أَوَّلَ هَدِيَّةٍ

يُرْسِلُهَا اَلشِّتَاءُ إِلَى قَرِيَتِهِ بَعدَ غِيَابٍ طَوِيلٍ.

انتهى طبع هذا الكتاب بمطبعة ثوب للطباعة
سبتمبر 2020 - 20,000 نسخة